فهمه لأبعاد الحدث ، وفلسفته للمواقف، ورصده للحقائق ، وكشفه أغوار انفعالاته التى التقت - إلى حد بعيد - مع انفعالات جمهور المسلمين في خضم تلك الحروب . أضف إلى هذا كله - وهو ليس من نافلة الرؤية - ذلك التشابه الصوتى الذى سارت عليه كلتا القصيدتين على مستوي الأوزان والقوافى وحرف الروى وحركته ، وهو ما يكشف لنا مدى حرص الشاعر المعارض على إعجابه بسلفه وقصده إلى معارضة قصيدته .

ومن المؤكد أن ثمة فروقا واضحة بين مواد المعارضة هنا بهذا الفهم التفصيلى ، وبينها على مستوي عموم الصياغة ، على النحو الذى سجل به ابن سناء الملك إعجابه بصلاح الدين الأيوبى ، إذ راح يتغنى بحروبه وحماساته ، ويسجل له معالم وحدة مصر والشام ، وكأنما رسخت فى ذاكرته الصورة العامة لبائية أبى تمام ، فصدر عما بقى في صدره من أثرها مرتَيْن : الأولي فى تصويره صلاح الدين ممدوحا حربيا :

بدولة الترك عزَّتْ مِلَّةُ العرب ... وبابن أيوب ذلَّتْ شيعةُ الصُّلُب

وفى زمان ابن أيوب غدت حلب ... من أرض مصر وعادت مصر من حلب

ولابن أيوب ذلَّتْ كلُّ مملكة ... بالصَّفْح والصلح أو بالحرب والحَرَبِ

مظفَّرُ النصر مبعوثٌ بهمَّته ... إلى الهزائم مدلولٌ على الغَلَب

والثانية فيما رسمه من لوحة فنية للجيش الإسلامى الذى يقوده الممدوح :

أتى إليها يقودُ البحرَ مُلْتَطِماً ... والبيض كالموج والبيضات كالحَبَبِ

تبدو الفوارسُ منها فى سوابغها ... بين النقيضَيْن من ماء ومن لَهَبِ

مستلئمين ولَوْلا أنهم حفظوا ... عوائدَ الحرب لا ستغنوا عن اليَلَب

لتبقى الدلالة مؤكدة حول تواصل شعراء هذا الضرب من المعارضات وكيف يضع الشاعر نصب عينيه تلك اللوحات الكبرى التى رسمها الشاعر الأول انفعالاً بالحدث ، وهو ما يزداد تأكيدا في تناول ابن القيسرانى لنفس البائية لأبي تمام ، وقبل وقفتنا معه تظل الدلالة مؤكدة على دور المعارضة فى تسجيل ذلك التواصل الرائع بين ما أفرزته قرائح الأوائل وما أضافته إليها ملكات المتأخرين ممَّن أخذوا عنهم وعارضوهم دون استسلام لمنطق تخاذل أو استعباد ، بل ظلَّت المجالات مفتوحة والصور مطروحة لمن أراد أن يسجل ذاتيته إلى جوار